الأمن العقدي

في الحجّ وأثرُهُ في الأمنِ الفكريّ

لفضيلةِ الشّيخ الأستاذِ الدّكتورِ

عبدِ السّلامِ بنْ سالمِ السّحيمي

أستاذٌ بقسمِ الفقهِ بكليّةِ الشّريعةِ بالجامعةِ الإسلاميّةِ

والمدرّسُ بالمسجدِ النّبويّ

غفرَ اللهُ لهُ ولوالديهِ وللمسلمينَ

الأمن العقدي في الحج وأثره في الفكر الإسلامي

لفضيلة الشيخ

أ.د. عبد السلام بن سالم السحيمي

اعتنت بها الفقيرة إلى عفو ربها

أم عبادة الليبية

بسم الله الرحمن الرحيم

.

بسم الله الرحمن الرحيم

أَحْمَدُ رَبِّي وَأَشْكُرُهُ وَأَتُّوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ وَأُثْنِي عَلَيْهِ الْخَيْرَ كُلَّهُ أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُؤَيَّد بِالْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَةِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِه نجُومِ الْهُدَى الزَّاهِرَةِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

إنَّ الحج ليس مجرد شعيرة بدنية، بل هو مدرسة عقدية عظيمة تُرسّخ التوحيد، وتُصفّي المعتقد، وتغرس معانِي الانقياد لله. ومن هنا يظهر مفهوم الأمن العقدي فِي الحج، وهو سلامة اعتقاد الحاج من الانحرافات والبدع والشركيات، وثباته على عقيدة أهل السنة والجماعة.

أولًا: معنى الأمن العقدي فِي الحج

الأمن العقدي هو: طمأنينة القلب إلى صحة المعتقد، وسلامته من الشبهات والانحرافات، مع التزام منهج الوحي فِي الاعتقاد والعمل.

ويظهر ذلك فِي الحج من خلال: إخلاص العبادة لله وحده؛ فإن إخلاص العمل لله تعالى وحده، من شروط قَبول الأعمال الصالحة عند الله تعالى، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لنبينا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ"[الأنعام:162، 163]. وقال جل شأنه: "قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ " [الزمر: 11، 12]. وقال: "فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ" [غافر: 13، 14]. وقال تعالى: "هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" [غافر: 65].

وقال جل شأنه: "وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ " [البينة: 5].

روى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قال الله تبارك وتعالى: "أنا أغنى الشركاء عن الشِّرك، مَن عمِل عملًا أشرَك فيه معي غيري، تركته وشركه"

متابعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أداء المناسك:

*ترك البدع والمحدثات؛ قال تعالى:"قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ" [آلعمران: 31، 32] ، وقال تعالى: "مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ " [النساء:80]، وقال تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ

اللهِ " [النساء: 64]، وقال الله تعالى: "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا " [الأحزاب: 21]، وقال تعالى: "وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ "[الحشر: 7].

والآيات فِي هذا المعنى كثيرة.

و رَوى البخاريُّ رحمه الله عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا مَن أبى، قيل: ومَن يأبى يا رسول الله؟ قال: (من أطاعني دخل الجنة، ومن عصانِي فقد أبى .

وقد روى أبو داود والترمذي رحمهما الله عن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "وعَظَنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موعظةً بليغةً، وجِلتْ منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنَّها موعظة مودِّع فأوصِنا، قال: أُوصيكم بتقوى الله، والسمع

والطاعة، وإن تأمَّر عليكم عبد حبشي، وإنه مَن يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديين، عَضُّوا عليها بالنواجذ - أي: استمسكوا بها أشد استِمساك - وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة".

• وقد نُهينا أعظم النهي وأشده عن مخالفة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واتباع أهوائنا وما أُحدِث فِي الدين مِن بِدع، فقال تعالى: "فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " [النور: 63].

وقد روى البخاري ومسلم رحمهما الله عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَن أحدث فِي أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رد"؛ أي: مردود عليه، وفِي رواية لمسلم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: "من عمل عملًا ليس عليه أمرُنا، فهو ردٌّ".

وكما يجب على المسلم أن يوحِّد المعبود جلَّ وعلا؛ فلا يعبد غيره، ولا يقصد سواه، وهو ما تضمنه قولنا: "لا إله إلا الله"، وما يدلُّ عليه قولنا: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ " [الفاتحة: 5].

فكذلك يجب على المسلم أن يوحِّد المتبوع، فلا متبوع إلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه المُبلِّغ عن الله ما شرعه لعباده، وهو معنى قولنا: "محمد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ". فليس عبدًا لله مَن لم يلتزم بما جاء به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن ربه، ولم يتبع منهجه ولم يطبق شرعَه، وإن أقرَّ بأن الله خالقه ورازقه، فلقد أقرَّ بذلك مِن قبله المشركون، ولم يكونوا به مؤمنين، ولم يَخرجوا عن كونهم مشركين؛ لأنّهم لم يؤمنوا بالله إلهًا معبودًا ومشرِّعًا حكيمًا، ولم يؤمنوا برسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبيًّا متبوعًا ورسولًا مبلِّغًا عن رب العالمين.

ثانيًا: مظاهر الأمن العقدي فِي الحج.

1. **تحقيق التوحيد**؛ فالحج قائم على التوحيد من أوله إلى آخره:

2. **التلبية**: «لبيك اللهم لبيك...» إعلان خالص للتوحيدعنى التلبية: «**لبيك اللهم لبيك**»، وقول جابر: «**فأهللنا بالتوحيد**»

أولًا: معنى التلبية «**لبيك اللهم لبيك**»

لبيك: **أي**: إجابةً لك بعد إجابة، وإقامةً على طاعتك. أصلها من "**اللبّ**" وهو: الملازمة.

المعنى الكامل: أنا مقيم على طاعتك يا الله، مستجيب لأمرك، مكررًا ذلك مرة بعد مرة.

تتمة التلبية ومعانيها «لبيك لا شريك لك لبيك» **تعني:**

*تأكيد التوحيد ونفي الشرك

❊إخلاص العبادة لله وحده

ومعنى «إن الحمد والنعمة لك والملك»

❊جميع المحامد لله.

❊كل النعم منه.

❊الملك كله له سبحانه.

ومعنى «لا شريك لك»

❊توكيد التوحيد مرة أخرى.

❊ردٌّ على أهل الشرك قديمًا وحديثًا.

ثانيًا: معنى قول جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «فأهللنا بالتوحيد» (فِي وصف حج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ؛ أهللنا: أي: رفعنا أصواتنا بالتلبية بالتوحيد: لأنّ التلبية كلها توحيد خالص

فالمعنى: رفعنا أصــواتنا معلنين توحيد الله، مخلصــين له العبادة، منكرين للشرك.

العلاقة بين التلبية والتوحيد

التلبية شعار الحج

وهي إعلان: توحيد الألوهية (لا شريك لك)

توحيد الربوبية (النعمة لك والملك)

لذلك قال جابر: «بالتوحيد» لأنّها قائمة عليه من أولها إلى آخرها

الذبح: عبادة لا تكون إلا لله

الدعاء والاستغاثة: صرفها لله وحده. قال تعالى:"**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ**".

أولًا: الذبح عبادة؛ فالذبح ليس مجرد عادة، بل هو عبادة يتقرب بِها إلى الله

الدليل: قال تعالى: "**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**"، وقال: "**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي... لِلَّهِ**"

المعنى:

يجب أن يكون الذبح لله وحده، فمن ذبح لغير الله (لقبر أو ولي أو جن) فقد وقع فِي الشرك الأكبر.

ثانيًا: الدعاء عبادة؛ فالدعاء من أعظم العبادات

قال ﷺ: «الدعاء هو العبادة» والدليل: قال تعالى:

"وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ"

والمعنى: لا يجوز صرف الدعاء إلا لله، فمن دعا غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد أشرك.

2. الاتباع وترك الابتداع

إنّ الحاج مأمور باتباع هدي النبي ﷺ: قال ﷺ: «خذوا عني مناسككم»

فيبتعد عن:

*الأدعية المبتدعة.

*التوسلات غير المشروعة.

*الطقوس المخالفة للسنة.

ثالثًا: تعظيم النصوص الشرعية

معنى تعظيم النصوص الشرعية هو: إجلال نصوص الوحيين (القرآن والسنة)، وتقديمها، والانقياد لها ظاهرًا وباطنًا، مع قبولها والتسليم لحكمها دون اعتراض أو تحريف.

مظاهر تعظيم النصوص:

*التسليم والانقياد

* قبول النص ولو خفيت الحكمة قال تعالى:"**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ... إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا**"

تقديم النص على العقل والهوى:

فلا يُعارَض بقياس أو رأي قال تعالى : "**فَلا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ...**"

فالعمل بالنص ليس مجرد معرفة، بل امتثال عدم تحريفه أو تأويله الباطل، وإثبات ما أثبته الله لنفسه بلا تعطيل ولا تمثيل توقير السنة، والأخذ بِها كأخذ القرآن

أمثلة من الحج على تعظيم النصوص:

❊تقبيل الحجر الأسود

❊تعبّدٌ محض اتباعًا للنبي ﷺ، لا لأنه ينفع أو يضر.

❊رمي الجمار؛ امتثال لأمر الله، ولو لم تُدرَك العلة، فعن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: "إِنَّمَا جُعِلَ الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ، وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَرَمْيُ الْجِمَارِ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللهِ". (رواه أبو داود والترمذي).

أعمال المناسك كلها مبناها على الاتباع: «خذوا عني مناسككم»

❊تحقيق كمال التوحيد.

❊سلامة من الشبهات والانحرافات.

❊بناء عقلية منضبطة بالوحي.

❊تحقيق الأمن الفكري والاستقرار.

❊الحج يربي على التسليم.

❊تقبيل الحجر الأسود (مع أنه لا يضر ولا ينفع)

❊رمي الجمار امتثالًا لا تعليلًا كما قال عمر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"إنِّي أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع..."

رابعًا: وحدة العقيدة

اجتماع المسلمين من كل مكان: على لباس واحد، وعبادة واحدة، وشعار واحد (التوحيد) قال تعالى: (وَاعْتَصِمُوا

بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ)، وهذا يعزز نقاء العقيدة ووحدتِها.

خامسًا: أثر الأمن العقدي فِي تحقيق الأمن الفكري

قال تعالى: (الذين آمنو ا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون)

الأمن العقدي هو الأساس الحقيقي قال عبد الرحمن بن ناصر السعدي فِي تفسير قوله تعالى: "الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ": أي: لهم الأمن التام والهداية التامة، وإن لم يكملوا إيمانهم وأصل الإيمان معهم، فلهم أصل الهداية وأصل الأمن".

ومعنى كلامه: أن الأمن والهداية يكونان بحسب قوة الإيمان وضعفه؛ فمن كَمُل توحيده وإيمانه، وسلم من الشرك

والبدع والمعاصـــي العظيمة؛ حصـــل له من الأمن والهداية بقدر ذلك، بل أكمل الناس أمنًا هم أكملهم إيمانًا.

ومن نقص إيمانه؛ نقص أمنه وطمأنينته وهدايته بقدر ما عنده من النقص للأمن الفكري، ومن آثاره:

1. الوقاية من الانحرافات الفكرية

أي: من ثبت على التوحيد الصحيح سلم من:

*الغلو.

*التكفير.

*البدع

2. بناء التفكير السليم

أي: بالعقيدة الصحيحة فهي:

❋تضبط ميزان التفكير.

❋تمنع التناقض.

❋تربط العقل بالوحي.

3. **تعزيز الوسطية والاعتدال**

فالحج يغرس: التوازن **أي:** البعد عن الإفراط والتفريط.

4. **تحقيق الاستقرار المجتمعي**

أي: إذا صلح الاعتقاد:

❋قلّ النزاع.

❋زاد التآلف.

❋تحقق الأمن العام.

خامسًا: أمثلة على خلل الأمن العقدي فِي الحج للتّنبيه والتَّحذير:

*دعاء غير الله عند القبور.

*التبرك بالأحجار أو الأماكن بغير دليل.

*اعتقاد نفع أو ضر فِي غير الله.

*الغلو فِي الصالحين.

وهذه تضعف الأمن العقدي، وبالتَّالي تَهدد الأمن الفكري.

سادسًا: وسائل تعزيز الأمن العقدي فِي الحج

*نشر العلم الشرعي بين الحجاج.

*بيان السنة والتحذير من البدعة.

*توجيه الحملات الدعوية.

❊الاستفادة من العلماء والدّعاة.

قراءة كتب العقيدة المختصرة الواضحة

الخلاصة

الحج ميدان عظيم لترسيخ التوحيد والاتباع، وهما أساس الأمن العقدي.

ومتى تحقق الأمن العقدي فِي النفوس، نشأ عنه أمن فكري راسخ يحفظ الفرد والمجتمع من الانحراف والاضطراب.

و الله أعلم، و صلى الله وسلم على نبينا محمد و على آله و صحبه آجمعين .